صاحب الجلالة الملك محمد الخامس

" طيب الله ثراه "

ينتمي صاحب الجلالة الملك محمد الخامس إلى أسرة شريفة نزحت من مدينة ينبع النخل (بالمنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية) إلى المغرب سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٦ م)، واستقرت في مدينة سجلماسة بإقليم الرشيدية (تفيلات سابقا) ولما ملكت هذه الأسرة المغرب سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) عرفت بالأسرة العلوية نسبة إلى على الشريف أحد جدودها المشهود له بالفضل والبركة.

وكانت ولادة جلالته يوم الجمعة ٢٣ رجب عام ١٣٢٧ هـ (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦ م) بالقصر الملكي بفاس التي كانت عاصمة للمغرب يومئذ، وكان والده الأمير يوسف خليفة للسلطان بها، فلما بويع والده سلطاناً عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وانتقل إلى الرباط التي صارت منذ ذلك العام عاصمة للمغرب انتقل معه إلى سكناها، فتلقى بها العلوم الدينية واللغوية على يد فقهاء وأساتذة كان أكثرهم يعمل بالقصر الملكي، كما تلقى مبادىء اللغة الفرنسية وعدداً من العلوم العصرية على يد أساتذة تثقفوا ثقافة عصرية، وكان اتصاله بالحضارة العصرية سنة ١٩٢٥ عندما رافق والده في الزيارة الرسمية التي قام بها إلى باريس.

ولما توفي والده السلطان يوسف بفاس يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى عام ١٣٤٥هـ (١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧م) بويع الأمير محمد بها يوم الجمعة الموالي، وجاءته بيعات المدن والقبائل من الأقاليم الدانية والقاصية في الأيام القليلة التالية، وقد اختاره رجال المخزن وعلماء الأمة وأعيانها لمنصب الملك الرفيع من بين إخوته لما كان يمتاز به على صغر سنه من الذكاء والحيوية ويتسم به من الجدية وحسن الخلق، فانتقل إثر مبايعته من القصر الملكي بفاس إلى القصر الملكي بالرباط، وكان من التصريحات الواعدة التي صدرت عنه في الأسبوع الأول لتملكه قوله:

«إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهوداً مستمراً لا من أجل تنمية سعادته المادية وحدها، ولكن

لنكفل له أيضاً الانتفاع من تطور فكري يكون متلائماً مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة».

وكانت هذه التصريحات والأقوال مصحوبة بالمنجزات والأعمال، فقد فكّر جلالته في الحالة المزرية التي كان يعيشها شعبه في ظل نظام الوصاية الأجنبية، فرأى أن لا مخلص منها إلا بنشر التعليم بين المغاربة، ذكوراً وإناثاً وحثّهم على تجديد الفلاحة، وتطوير الصناعة، وتنمية الشعور الوطني في نفوسهم، وكذلك شجع تأسيس المدارس الحرة وأهاب بالشبان لمواصلة تعلّمهم بالكليات والمعاهد العليا، وطوّر التعليم بالكليات الدينية، وحارب شيوخ الطرق الصوفية الذين كانوا يتعاونون مع النظام الاستعماري، وقد رزق الله جلالته في السنين الأولى من ملكه بابن سيشتدُّ به عضده في درب النضال الطويل هو الأمير الحسن الذي ولد يوم الثلاثاء ١ صفر عام ١٣٤٨هـ (٩ يوليو ١٩٢٩م).

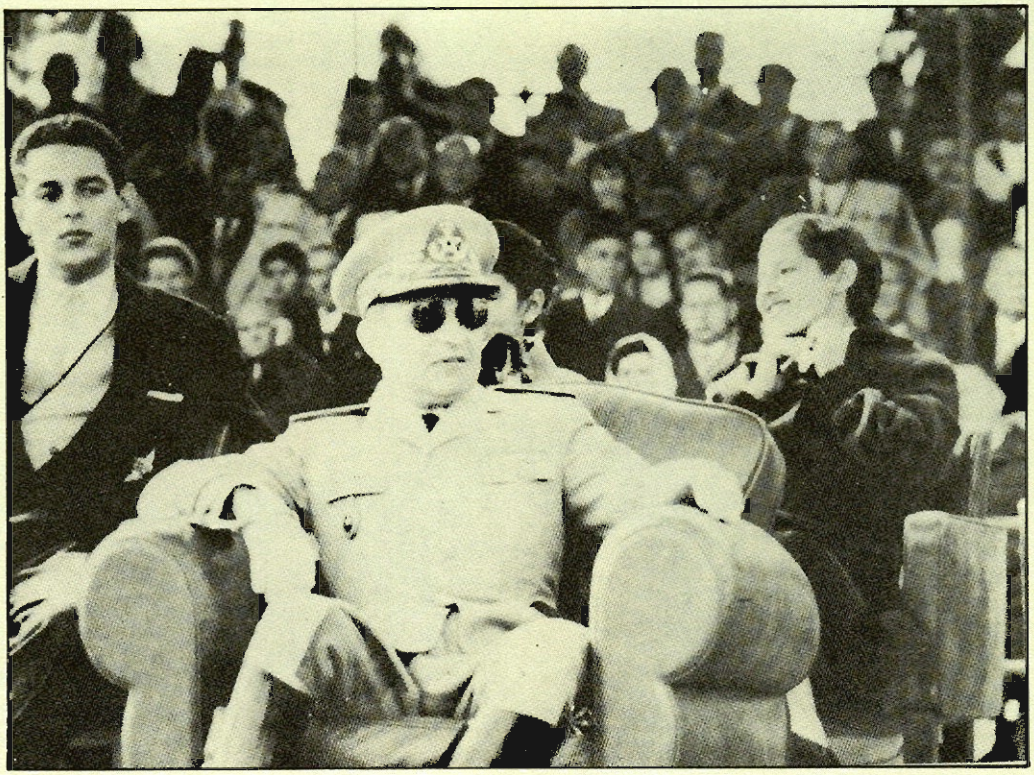

• الملك محمد الخامس يستعرض الجيش في يوم الجيش •

ولما نظّم الأحرارُ الغيورون من الشبان والكهول المغاربة صفوفهم في كتلة العمل الوطني وضعوا أيديهم في يد جلالته وصاروا يعملون جميعاً في انسجام لإخراج المغرب من الحالة البئيسة التي فرضها عليه الاستعمار إلى حالة ينعم فيها أهله بالحرية والديمقراطية وتكون فيها ثرواتُهم وإمكاناتهم الاقتصادية بين أيديهم، وكان تقديم (مطالب الشعب المغربي) إلى جلالته من طرف كتلة العمل الوطني سنة ١٩٣٣م واحتجاجُه على محاولة دمج المغرب في لجنة فرنسا ما وراء البحار سنة ١٩٣٤م من المواقف العلنية الأولى التي وقفها ضد المشاريع الاستعمارية.

وحاول الاستعماريون أن يغروه بملذّات الشباب وشهوات الصبا لمّا بدرت منه هذه البوادر، ولكن كان له من شرف النسب، واستقامة الخُلُق، وحمية الشباب وشدة الطموح ما جعله يعرض عن كل الملذات والشهوات المقترحة عليه والمعروضة، وبقي دائماً يعالج الأمور بحكمة ويعمل على حماية مصالح شعبه قدر المستطاع، وعلى مالقي الشعب المغربي منهم من أذى ومكروه، لا سيما الوطنيين الأحرار الذين اقتيد الكثير منهم إلى المنافي والسجون منذ سنة ١٩٣٧م فإنه رحمه الله وقف موقفاً نبيلاً عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية في شهر سبتمبر ١٩٣٩م فأعلن انضمام المغرب إلى دول الحلفاء، وساعد بإرسال الفرق العسكرية المغربية إلى ميادين القتال في أوربا على قهر النازية والفاشيستية، وكان القصد من ذلك أن ينال المغرب حظه من النصر، فيعترف له الحلفاء وفي طليعتهم فرنسا التي ذاقت مرارة الاحتلال، بحقه في استعادة سيادته الكاملة.

• الملك محمد الخامس ، والملك الحسن الثاني مع الاميرة للا أمينة •

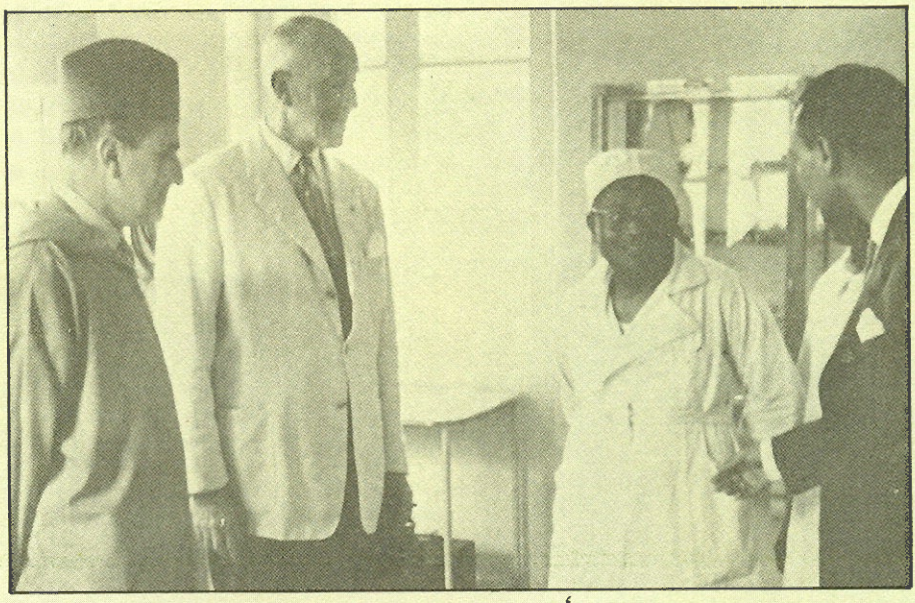

• الملك محمد الخامس في زيارة لأحد المستشفيات •

وخلال سنوات الحرب لم تسنح لجلالة الملك محمد الخامس فرصة دون أن يغتنمها للتذكير بحقوق وطنه وطموح شعبه إلى التخلص من الوصاية الأجنبية وعودته إلى الحياة الطبيعية التي عاشها طيلة قرون، ذكّر بذلك خلال اجتماعه بروزفلت وتشرشل مساء يوم الجمعة ٢٢ يناير ١٩٤٣م بالدار البيضاء، وفي أثناء تقديم عريضة الاستقلال إليه يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٤م وخلال اجتماعه في باريس بالجنرال ديجول في شهر يونيو ١٩٤٥م وحينما زار طنجة وألقى بها خطابه التاريخي يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٦٦هـ (١٠ أبريل سنة ١٩٤٧م).

وإزاء المواقف المتصلّبة لجلالة الملك محمد الخامس التي أخذت تعظم وتزداد شيئاً فشيئاً، وتحت ضغط المستوطنين الفرنسيين الذين كان لهم تأثير كبير على الحكومة والبرلمان بباريس قرّرت الحكومة الفرنسية يوم الأربعاء ١٤ مايو ١٩٤٧م تعيين الجنرال الفونس جوان مندوباً سامياً لفرنسا بالمغرب، فاهتزّت الأوساط الاستعمارية فرحاً لهذا التعيين، لاشتهار هذا الجنرال بأعماله القمعية وللأفكار الغريبة التي كان يجاهر بها حيال بلدان الحماية والمستعمرات، كفكرة السيادة المشتركة، فجاء هذا الجنرال إلى المغرب، ولكنه وجد من صلابة محمد الخامس، واستمساكه بحقوق شعبه، والتفاف شعبه حوله، ما جعل كل المشاريع التي جاء لتطبيقها تفشل، وكانت مقاومة محمد الخامس واعتراضه يتجليان على الخصوص في رفض المصادقة على مشاريع الظهائر التي ترسل إليه للمصادقة عليها، وطبعها، ويرى فيها

مساساً بحقوق شعبه، حتى كادت حركة التشريع والتقنين تتوقف في المغرب، وحينئذ بدأ الجنرال جوان ـ الذي صار مرشالاً فيما بعد ـ يفكر في سلوك طريق آخر لإرغامه على المصادقة على مشاريعه وتشريعاته، وهو طريق التهديد بخلعه ونفيه، وقد سبق له أن سلك هذا الطريق بتونس عندما نفي ملكها الشرعي (المنصف باي) لمَّا استردها الحلفاء من أيدي الألمانيين والإيطاليين بدعوى أن الباي كان يتعاون معهم، وبالفعل شرع الجنرال جوان في تنفيذ خطته بالتعاون مع بعض شيوخ الطرق الصوفية والقوَّاد الإقطاعيين الكبار، فكانت الأزمة الكبرى الأولى يوم ٢٥ فبراير ١٩٥١م ثم توبع مسلسل التهديد بالخلع بعدما نقل الجنرال جوان من المغرب في شهر سبتمبر ١٩٥١م وخلفه تلميذه الجنرال كيوم على رأس المندوبية السامية الفرنسية في الشهر التالي، وهو أيضاً من ضباط الأمور الأهلية الذين شاركوا في عمليات الفتح والقمع في المغرب، فسار هذا الجنرال على نهج سلفه في التضييق على الملك والبطش بأحرار شعبه، وواصل محمد الخامس سياسة المقاومة والمعارضة للمشاريع الاستعمارية، تلك المعارضة التي كانت تحظى بالموافقة والتشجيع من معظم طبقات الأمَّة، إلى أن انتهى الأمر يوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٣م بإنزاله بالقوة عن عرشه ونفيه وولي عهده الأمير الحسن وسائر أهل بيته إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر.

وتنفس الاستعماريون الصعداء ظانين أنه بنفي محمد الخامس يذل شعبه ويخنع ويقبل بالأمر الواقع، ولكن ظنونهم ما لبثت أن منيت بخيبة ومرارة، لأن الشعب المغربي انطلق كالمارد ـ بعد فترة الذهول الأولى ـ إلى مخاطبة الاستعماريين باللغة التي لا تصغي آذانهم لغيرها، لغة الحديد والنار والتخريب والتدمير فشنوها مقاومة مسلحة وحرْباً مخرِّبة على المستعمرين، دفاعاً عن شرف ملكهم وكرامة وطنهم، على الرغم من ضعف وسائلهم وقوة وسائل عدوهم، فكانت ثورة الملك والشعب حقاً وصدقاً، وطالت هذه الثورة طيلة مقام الملك في المنفى الذي استمر ٢٧ شهراً رغم ما بذله الحكم الاستعماري من مجهود لإخماد تلك الثورة، ولكن جميع جهوده باءت بالفشل، فبدأ بالتفكير في إيجاد مخرج من الورطة وحل للأزمة، وشرعت الحكومة الفرنسية في باريس بإرسال الرسل إلى محمد الخامس تعرض عليه في منفاه بعض الحلول التي لا ترضيه ولا تحقق مطامحه ومطامح شعبه، فكان يُصرّ على أن الحل الوحيد هو الاعتراف للمغرب بحريته الكاملة وسيادته التامة، وكان له ما أراد، فانتقل إلى فرنسا في صباح يوم الاثنين ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٥م (١٤ ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ) ثم عاد إلى المغرب يوم الأربعاء ١٦ نوفمبر (١ ربيع الآخر) وتبوأ عرشه من جديد وعرشاً آخر لم يفرغ بغيابه، هو قلوب جميع المغاربة.

وكان على جلالته أن يبدأ بناء وطنه وشعبه من الصفر، حيث كانت الإدارة والاقتصاد والجيش

والأمن وسائر مرافق الدولة الحيوية بيد موظفين أجانب، لذلك لم يخف عن أمته المصاعب التي ستواجهه وتواجهها خلال السنين التالية، وكثيراً ما كان يردد بعد رجوعه من المنفى قول المصطفى ﷺ عندما رجع إلى المدينة من إحدى غزواته: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر! وعلى ذلك شرع بما أوتي من حكمة وحنكة في وضع أسس المغرب الجديد وإقامة أركانه، فأنشأ حكومة وطنية يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر عام ١٣٧٥هـ (٧ ديسمبر ١٩٥٥م) وعين ولاة الأقاليم الذين استلموا السلطة من رؤساء النواحي والمراقبين والضباط الأجانب، واتخذ سلسلة من التدابير التي أعادت الطمأنينة إلى النفوس كتسريح آلاف من المسجونين والمبعدين السياسيين، ثم سافر بصحبة ولي عهده الأمير الحسن وعدد من وزرائه إلى باريس صباح الاثنين ١ رجب ١٣٧٥هـ (١٣ فبراير ١٩٥٦م) لوضع اللمسات الأخيرة على معاهدة مغربية فرنسية جديدة تحل محل معاهدة فاس الممضاة سنة ١٩١٢م فوقعت يوم الجمعة ٢ مارس المعاهدة التي اعترفت فيها فرنسا للمغرب بسيادته الكاملة، ثم سافر إلى مدريد حيث صدر تصريح مشترك يوم ٧ أبريل تعترف فيه إسبانيا بمثل ما اعترفت به فرنسا، وتمهّد بذلك الطريق لإلغاء نظام الإدارة الدولية الذي كانت تخضع له مدينة طنجة والمنطقة المحيطة بها.

وإذ ذاك شرع جلالته يمحو ما بقي من مظاهر عهد الوصاية الأجنبية، فأنشأ جيشاً وطنياً يوم ١٤ مايو أسند رئاسة أركانه لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الحسن، كما أنشأ الأمن الوطني والدرك الملكي ووزارة للخارجية، وشرع ينشيء المرافق الأخرى التي كانت الدولة في حاجة إليها أو يجدّدها وينظّمها على أسس جديدة تضفي عليها الطابع المغربي الكامل، كتنظيم القضاء، وتجديد التشريع وإنشاء مجلس استشاري، وإحداث جامعة عصرية، وتحرير الاقتصاد، واسترجاع منطقة طرفاية، وإثارة مشاكل الحدود والمناطق السليبة ووضع حدًّا لوجود القوات والقواعد الأجنبية في المغرب، وتوطيد الصلات بالعديد من الدول الشقيقة والصديقة وعقد مؤتمر للدول الأفريقية المستقلة، ووضع أول ميثاق إفريقي بالدار البيضاء، وتنظيم ولاية العهد وإسنادها في حفل وطني بهيج إلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن.

ومازال جلالته يواصل المساعي ويصرف الجهود لخير وطنه وشعبه حتى توفاه الله عشية يوم الأحد ١٠ رمضان عام ١٣٨٠ هـ (٢٦ فبراير سنة ١٩٦١ م) إثر عملية جراحية صغيرة أجريت له بمصحة القصر الملكي بالرباط. فحزن الناس لوفاته حزناً كبيراً واتبعوه دعوات طيبة وثناءً عطراً على ما كافح وجاهد وأسدى من الأيادي البيضاء حتى أخرجها من نظام الحجر والحماية إلى الحرية والكرامة، وتسلم ولي عهده الملك الحسن الثاني مقاليد الحكم من بعده فقاد شعبه بالوفاء والإخلاص، إلى المستقبل الزاهر..

معلومات موجزة عن المغرب:

المساحة: ٧١٠٨٥٠ كم٢.

في الشمال، سلسلة جبال الريف على طول البحر الأبيض المتوسط.

في الوسط، سلسلتا الأطلس الكبير والأطلس المتوسط (أعلى قمة: ٤١٦٥ متراً).

في الجنوب، سلسلة الأطلس الصغير والصحراء الغربية.

في الغرب، سهل شاسع.

في الشرق والجنوب الشرقي، سهول مرتفعة قاحلة.

الطقس: شبه استوائي، حار في الصيف ومعتدل في الشتاء.

السكان: ٢٠٤١٩٥٠٠ (إحصاء ١٩٨٢م).

أهم المدن (إحصاء ١٩٨٢م): الرباط ـ سلا (٨٠٣,٠٠٠ نسمة)، الدار البيضاء (٢,١٥٠,٠٠٠ نسمة)، فاس (٤٤٩,٠٠٠ نسمة)، مراكش (٤٤٠,٠٠٠ نسمة)، مكناس (٣٢٠,٠٠٠ نسمة)، طنجة (٢٦٦,٠٠٠ نسمة)، أغادير (١١٠,٠٠٠ نسمة).

ـ نسبة الزيادة السنوية في السكان: ٢,٦٪ ـ ٥٧٪ يعيشون في البادية والقرى ـ ٤٣٪ يعيشون في المدن ـ ٥٢,٥٪ عمرهم أقل من عشرين سنة.

اللغة الرسمية هي العربية: اللغات الأخرى المستعملة: الفرنسية، الأسبانية والإنجليزية.

الديانات: الإسلام هو الديانة الرسمية ـ ١٪ من اليهود و١٪ من المسيحيين.

العملة: الدرهم (دولار أمريكي = ٨,٢٨ دراهم).

(فرنك فرنسي = ١,٤٠ درهم) بتاريخ ١٩٨٧/١١/٤م.

المسافات بين الرباط وأهم المدن (كلم):

الداخلة	١,٨٠٢	الكويرة	٢,٢٢٧
أغادير	٦١٤	مراكش	٣٣٤
الدار البيضاء	٨٦	مكناس	١٣٨
الجديدة	١٩٢	وجدة	٥٤٢
الصويرة	٤٤٤	آسفي	٣٤٩
فاس	١٩٨	السمارة	١,٤٩٨
العيون	١,٢٦٣	طنجة	٢٨١